خطبة صلاة الجمعة 2025/6/13 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(وحدة الصف في زمن البناء)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾ [آل عمران: 103-105].

عنوان خطبة اليوم:

(وحدة الصف في زمن البناء)

هناك أمرٌ مهم وأمر أهم، وينبغي أن تقدِّم الأهم على المهم.

هناك أمر فاضل وأمر أفضل، والأَوْلَى أن تقدِّم الأفضل على الفاضل.

هناك أمرٌ راجح وأمر أرجح، والصواب أن تقدِّم الأرجح على الرَّاجح.

في زمن بناء الدول وتمكينها تعتبر وحدة الصف من أَوْلى الأولويات، ومن أهم المهمات، وأرجح الراجحات لتتمكن الدولة والمجتمع من تحقيق الأهداف والوصول للمبتغى.

فكم من دولة حققت استقراراً وتقدماً كبيراً لما وحدت صفوفها وأهدافها، وما ذِكرُ اليابان، والسويد، وفنلندا منّا ببعيد.

وكم من دولة ضـــعفت وتفككت لما تفرقت كلمة أبنائها وتمزقت صـــفوفها، وما ذِكرُ الصـــومال، والسودان، واليمن منّا ببعيد.

لما هاجر رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم من مكة إلى المدينة وبدأ ببناء الدولة الإسـلامية كان أولَ ما دعا إليه ثلاثةٌ: بناءُ المسجد والمؤاخاةُ وكتابةُ دستور المدينة، وثلاثتها لتعزيز وحدة الصف وتقويتها.

فالمســـجد: هو الجامع الذي يجمع أبناء المجتمع، ويقوي اللُّحمة بينهم، ويرمّم ما تصـــدّع من روابط بينهم، وهو مركز التعليم والتربية.

والمؤاخاة: أمرٌ يفوق وحدة الصـفّ بمرات ومرات، عندما تعاون أفراد المجتمع وتشـاطروا القليل والكثير وتعاونوا على البر والتقوى.

ودستور المدينة: ذلك العقد الذي جمع بين المسلمين وسكان المدينة من اليهود بجامع المواطنة.

فثلاثتها –المسجد والمؤاخاة ودستور المدينة– تصب في مصلحة وحدة الصف، وذلك لما يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أثر الوحدة في تحقيق الأهداف المرجوّة والوصول للمراد.

ومرت على المدينة المنورة لحظاتُ اضـــطرابٍ أراد فيها الأعداء أو المنافقون أو البســـطاء الصـــلحاء أن يزعزعوا هذه الوحدة، فسارع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إطفاء نار الفرقة وإخماد جمرها.

أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد: «**أن أهل قُباءَ اقتتلوا حتى تَرَامَوا بالحجارة، فأُخْبِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: اذهبوا بنا حتى نُصلِحَ بينهم**» ويبدو ذلك في السنوات الأولى للهجرة.

وأخرج البخاري ومســـلم عن جابر رضـــي الله عنه: «**اقْتَتَلَ غُلامانِ: غُلامٌ من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فَنادَى المهاجِريُّ: يالَلْمُهاجرين، ونادى الأنصاري: يالَلأنصارِ، فَخَرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: مَا بَال دَعْوَى الجاهلية؟ ثم قال: مَا شَـأْنُهُمْ؟ فأُخبر بكَسْـعَةِ المهاجِريّ الأنْصـارِي، قال: فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: دَعُوها، فإنها خبيثةٌ**». وكان ذلك في السنة السادسة للهجرة.

وفي ســنوات المدينة المنورة حدثت حادثة شــاس بن قيس، فقد أخرج ابن هشــام في ســيرته: قال ابن إسحاق: مر شاس بن قيس –وكان شيخاً (يهودياً) قد عسا (أي كبر)، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم– على نفر من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصــلاح ذات بينهم على الإســلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً من يهود كان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم،

ثم اذكر يوم بُعَاث وما كان قبله، وأنشـــدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشـــعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيَّين على الركب فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شـــئتم رددناها الآن جَذَعَة، وغضـــب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا موعدكم الظاهرة- والظاهرة: الحرة- السلاحَ السلاحَ، فخرجوا إليها (وكادت تنشب الحرب).

فبلغ ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين، حتى جاءهم فقال: **«يا معشـــر المســـلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله للإســـلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألّف بين قلوبكم؟»**

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضـاً، ثم انصـرفوا مع رسـول الله صـلّى الله عليه وسـلم سـامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس.

وفي السـنة التاسـعة للهجرة دعا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بعض صـحابته لهدم مسـجد الضـرار الذي بناه المنافقون لتفرقة المسلمين ولمحاربة الله ورسوله وقال: **«انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه فاهدماه وحرقاه»** فذهبا فحرّقاه وهدّماه. وفي هذا نزل قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ [التوبة: 107-108]

وهكذا على مدار بناء الدولة كان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم والمسـلمون يحافظون على وحدة الصف، وكلما رَأَوا خرقاً سدّوه، وكلما فتح الأعداء أو البسطاء باباً للفرقة أغلقوه.

أيها الإخوة:

سـورية اليوم في طور البناء والتمكين بحاجة في أهم احتياجاتها وأضـر ضـروراتها إلى وحدة الصـف بين أبنائها، ولو اختلفت آراؤهم أو تباينت انتماءاتهم؛ فالاختلاف سنة إلهية لا نستطيع إلغاءَها ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119]

فليس المراد أن تتماثل أفكارنا وآراؤنا أو تتحد أطيافنا وانتماءاتنا، ولكنِ المراد أن تتحد صـفوفنا وقلوبنا لنبني البلد مجتمعين، ونقف في وجه المخاطر متعاونين.

ومعلوم لديكم أن وحدة الصف تقتضي الالتفاف حول قيادة البلد والالتزام بالقانون والمؤسسات.

وكلٌّ منا في موقعه مدعوٌّ إلى تعزيز هذه الوحدة ونبذ الفرقة، وتقوية رص الصـــفوف، والابتعاد عن تمزيقها.

فوحدة الصـــف هي الركيزة الأســـاســـية لبناء دولة قوية، قادرة على تحقيق التنمية والاســـتقرار، وتعزيز مكانتها على المستوى الدولي.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105].

والحمد لله رب العالمين